

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[347] العامة وتوغل الإسلام في طبقات المجتمع... ثم بعد هذا كله فإن التعبير بالأيذاء مناسب لمحيط مكّة... وإلاّ فقلّ أن اتفق مثل هذا الإيذاء في محيط المدينة. وقد تنوّر واتضح - ضمناً - هذا الموضوع الدقيق، وهو أن التعبير بالمنافق لا يختص بمن ليس في قلبه إيمان اطلاقاً ويدعي الإيمان، بل حتى الافراد من ضعاف الإيمان الذين يتراجعون عن عقيداتهم نتيجة الضغوط والتأثير بفلان وفلان فهؤلاء أيضاً يُعدون من المنافقين.. والآية محل البحث - كما يظهر - تتحدث عن هذا النوع من المنافقين، وتصرح بأنّ الأ مطلع على نيّاتهم وعليم بسرائرهم. وفي الآية التالية - لمزيد التأكيد - يضيف القرآن قائلاً: (وليعلمن الأ الذين آمنوا وليعلمن المنافقين). فلو تصوروا أنّهم إذا أخفوا الحقائق فإنّهم سيكونون في منأى عن علم الأ فهم في خطأ كبير جدّاً. ونكرر هنا - مرّة أخرى أنّ التعبير بالمنافقين ليس دليلاً على أنّ هذه الآيات نزلت في المدينة، صحيح أنّ مسألة النفاق تقع عادة بعد انتصار جماعة والإستيلاء على الحكومة.. حيث يغير المخالفون أقنعتهم ويعملون في الخفاء حينئذ، إلاّ أن للنفاق - كما قلنا - معنى واسع، ويشمل حتى الافراد ضعاف الإيمان الذين يبدّلون عقيدتهم لأدنى مكروه يصيبهم. والآية الأخرى بعدها تشير إلى منطق المشركين الخاوي والملتوي، الذي لا يزال موجوداً في طبقات المجتمع الواسعة فتقول: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتّبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) (1).

_____ 1 - جملة "ولنحمل" فعل دالّ على الأمر، وقد ولّد هذا التعبير إشكالا عند بعض المفسّرين، وهو: هل يمكن أن يأمر الإنسان نفسه؟! ثمّ قالوا في رد هذا الإشكال. إنّ هذا الأمر في حكم القضية الشرطية أي "إن اتبعتمونا حملنا خطاياكم" - كما في تفسير الرّازي - إلاّ أنّّه في اعتقادنا لا يمنع أن يأمر الإنسان نفسه، والأمر والمأمور شخص واحد، إلاّ أنّّه ذو اعتبارين... فتأمل بدقّة. .